العرب
الجمعة 2021/03/05
السنة 43 العدد 11990

سوريا.. حلول «الرئيس» الناجعة

بهاء العوام
صحافي سوري

معالجة الجوع في المجتمع تبدأ بوقف القنوات التلفزيونية بث برامج الطهي عبر شاشاتها. هذه ليست نكتة تتناقلها منصات وسائل التواصل الاجتماعي، وإنما رأي "رئيس" سوريا، وإحدى وصاياه لحفنة من الإعلاميين نالوا "شرف" لقائه مؤخرا. فبشار الأسد يظن أن وقف بث البرامج التي تعرض لأكلات لا يحتمل شعبه كلفتها، هو السبيل لتجاوز مشكلة الفقر المدقع الذي يغرق فيه غالبية من يعيشون في الداخل.

تحار في "ذكاء" هذا "الرئيس" ومقارباته الدونكشوتية للأزمات. هذا "الذكاء" يفسر بسهولة الكوارث المتلاحقة التي تعيشها سوريا منذ أن ابتليت به رئيساً، ولكن المشكلة أن الدول المعنية بالأزمة بعضها لا يريد أن يرى هذا "التميز" للأسد، والبعض الآخر مستمتع به لما يجلبه لهم من فائدة ومنفعة. فليس أفضل للمحتل الإيراني والروسي مثلاً، من قيادة سياسية "متقدة" الفكر كرأس السلطة في دمشق وبطانته الانتهازية.

بلغة الأرقام تقول الأمم المتحدة إن حوالي ستين في المئة من السوريين، أي ما يزيد على اثني عشر مليون شخص، لا يحصلون بانتظام على ما يكفي من الغذاء. هذا الواقع دفع بالملايين إلى بيع أصولهم وماشيتهم ليأكلوا ويطعموا أطفالهم أقل من الحد الأدنى، كما أصبحوا يرسلون أولادهم للعمل بدلا من المدرسة. فبات أكثر من نصف مليون طفل دون الخامسة يعانون من التقزم نتيجة سوء التغذية المزمن، وفي الشمال الغربي والشمال الشرقي، تظهر بيانات مراقبة التغذية أن واحداً من كل ثلاثة أطفال في بعض المناطق يعاني من التقزم، وتأثير ذلك على تطورهم وتعليمهم سيكون مدى الحياة.

«الرئيس» يراهن على صمت المحتلين لسوريا عن ولايته الجديدة وهو لن يبخل في منحهم البلاد مقابل ذلك فهذا ما يبرع به «الأسود» منذ بداية عهدهم في سبعينات القرن الماضي

على ذمة طبيب سوري تحدث لوكيل الأمين العام للشؤون الإنسانية بالأمم المتحدة مارك لوكوك، فإنه من بين 80 سريرا للمرضى، يشغل نصفها أطفال يعانون من سوء التغذية. وقد لقي خمسة أطفال حتفهم في مستشفاه نتيجة لسوء التغذية في الشهرين الماضيين. كما أخبرته طبيبة أطفال أخرى أنها تشخص سوء التغذية لحوالي 20 طفلا يوميا، لكن الأهالي لا يدركون ذلك ويجلبون أطفالهم إليها لأسباب مختلفة.

أمام هذه الأرقام والمعطيات يعتقد "الرئيس" أن وقف برامج الطهي هو الحل الأنجع للجوع والفقر في سوريا. لا تخطر له أن يتعاون مع المجتمع الدولي في حلحلة أزمة بلاده سياسيا واقتصاديا، ولا يفكر بحلول تخفف من تأثير العقوبات الاقتصادية الأميركية التي يعانيها الشعب بسبب وجوده على رأس السلطة، والمستحيل طبعا أن يخطر له الاستقالة ومغادرة البلاد كي يحمي أجيالا من الموت والتشوه والجوع والفقر.

هو ذات "الرئيس" الذي قال إن الأزمة الاقتصادية في بلاده وقعت بسبب أموال السوريين المخبأة في بنوك لبنان. لا تعرف إن كان جهله أو غروره هو ما يجعله عاجزا عن رؤية الأسباب الحقيقية للكارثة، أو ربما يعتقد فعلاً أن السوريين صدقوا كذبة المؤامرة الكونية على البلاد، وهم يرجعون كل مصائبهم لها. لمَ لا وهو لا يلتقي من الشعب إلا بالانتهازيين والمتملقين الذين يطمعون بمنصب أو حفنة من الدولارات.

ولأن "البطريرك" لا يمكن الوصول إليه خلف أسوار قصوره التي لا ينقطع عنها الماء ولا الكهرباء والغذاء، ولا يضطر فيها إلى إرسال أولاده للعمل بدل الدراسة، لم يجد السوريون أمامهم سوى منصات التواصل الاجتماعي ليشكوا إليه ضيق حالهم وتردي أوضاعهم. حتى هؤلاء الذين كانوا يظنونه "بطلاً" و"منقذاً" للأمة، انفجروا برداً وجوعاً وغضباً في وجهه، وراحوا يملأون الدنيا صراخا ونحيبا واستغاثة.

فنان مؤيد لـ"الرئيس" مثل بشار إسماعيل ينشد الموت وجهنم هربا من واقع أسوأ بكثير يعيشه اليوم في عهد الأسد. وفنانة مؤيدة مثل منى واصف ترثي حالها وحال من حولها في البرد والجوع، بنبرة تحذر فيها "الرئيس" من انفجار الناس نتيجة لسوء الأوضاع المعيشية في البلاد. فمن يبيع أبناءه ويأكل من القمامة لن يجد صعوبة في ارتكاب الجرائم، أو الثورة على النظام، أو الانضمام لفصيل مسلح يعارض الأسد.

لا حياة لمن تنادي، وكل الشكاوى والأصوات التي ترتفع لتطالب "الرئيس" بالحل ستنتهي إلى سلة القمامة، أولا لأنه لا يهتم ولا يكترث لحال الشعب، وثانيا لأنه لم ولن يصل يوما إلى حلول ناجعة للأزمة الممتدة في البلاد منذ عشر سنوات، فكيف يعالج مشكلة هو الأصل فيها، ووجوده يعني استمرارها واستحالة الخلاص منها.

قبل عقد من الزمن اختار "الرئيس" أن يعاقب سوريا بأكملها لأن أطفالا من محافظة درعا كتبوا على جدران مدينتهم أن "الأسد يجب أن يرحل". فضّل موت الشعب بأكمله على رحيله. اختار تشريد الملايين وقتل مئات الآلاف واعتقال أكثر منهم، على الاستقالة والتخلي عن الكرسي. قرر أن يبقى رئيسا على رجال ونساء يسفون التراب كل يوم بسببه، وأطفال أصابهم القزم، وعبث بهم وبمستقبلهم الجوع والفقر.

هذا "الأسد" يرشح نفسه اليوم لولاية رئاسية جديدة تمتد على سبع سنوات قادمة. جل ما يمكنه فعله هو عقد لقاءات مع إعلاميين مطبلين يبحثون عن المال والنفوذ على جثث الأيتام والجوعى والفقراء. وعندما يحين موعد الانتخابات "الاستفتاء" منتصف مايو المقبل، ستتكفل أجهزته الأمنية والعسكرية بإجبار الناس على التصويت له، أو بإحصاء أصواتهم دون حتى أن يغادروا منازلهم أو مواقع عملهم في ذلك اليوم.

ما يراهن عليه "الرئيس" هو صمت المحتلين الخمسة لسوريا عن ولايته الجديدة، وهو لم ولن يبخل في منحهم البلاد قطعة تلو الأخرى مقابل ذلك. هذا ما يبرع به "الأسود" منذ بداية عهدهم في سبعينات القرن الماضي. الأب وضع الوصفة السحرية للسلطة والابن يثابر عليها، فحوى الأمر باختصار: امنح الخارج ما يريدون من خيرات البلاد، واسلب الداخل كل ما لديهم بحجة الأمن القومي. يتمسك "الرئيس" الابن بهذه الطريقة ظنا منه أنها تناسب كل زمان ومكان، وهذه علامة فارقة أخرى من علامات "ذكائه"، الذي أشار عليه بوقف برامج الطهي كي ينقذ الناس من الجوع والفقر والموت.

ألمانيا تسيء إلى نفسها.. وليس إلى المغرب

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

من المستغرب تصرّف دولة محترمة مثل ألمانيا بالطريقة التي تتصرّف بها تجاه المغرب. لا وجود لتفسير منطقي للسلوك الألماني تجاه المغرب والبحث عن كلّ ما يمكن أن يسيء إليه. قد يكون التفسير الوحيد للسلوك الألماني، ذلك الماضي النازي لهذا البلد الذي لا يريد إدراك أن المغرب بلد مسالم لا يسعى سوى إلى استعادة وحدته الترابية سلميا، تماما كما فعلت ألمانيا التي عادت وتوحّدت سلميا بعد سقوط جدار برلين في العام 1989 وانتهاء الحرب الباردة مطلع تسعينات القرن الماضي.

يفترض أن تدرك ألمانيا قبل كلّ شيء أن قضيّة الصحراء قضيّة مفتعلة تقف وراءها الجزائر وهي تنتمي، مثل جدار برلين، إلى مخلفات الحرب الباردة. يبدو أن ألمانيا تكيل بمقياسين. نجدها، في ما يخص المغرب تحديدا، مع مخلفات هذه الحرب ونجدها، حيث يناسبها، تقف ضدّها، خصوصا حين يتعلّق الأمر بمصلحتها الذاتية.

ليس مفهوما لماذا تمارس ألمانيا خارج حدودها عكس ما مارسته وما زالت تمارسه داخل هذه الحدود ولماذا هذا الحقد على بلد مسالم اسمه المملكة المغربيّة. إنّه الماضي النازي الذي يبدو أنّ هناك حنينا إليه لدى بعض الجهات الألمانية. ترى هذه الجهات، للأسف الشديد، أنّ لا مكان لاستعادة هذا الحنين سوى عبر التعاطف مع الأداة الجزائرية المسمّاة جبهة "بوليساريو". ليست "بوليساريو" سوى مجموعة عسكرية تموّلها الجزائر وتشرف على تدريبها.

لا يذكّر العرض العسكري الأخير لـ"بوليساريو" في منطقة تندوف الجزائرية سوى بالعسكر النازي. تؤكّد ذلك طريقة "بوليساريو" في القيام بعروض عسكرية لا هدف منها سوى بث الرعب والخوف في صفوف الصحراويين الموجودين في المخيمات الجزائرية بصفة كون هؤلاء بضاعة صالحة للمساومات.

قبل أن تفكّر ألمانيا في الإساءة إلى المغرب والاعتراض على اعتراف الولايات المتحدة بمغربيّة الصحراء، يظلّ من الأفضل لها تحرير الصحراويين من مخيّمات معسكرات الاعتقال النازية التي يعيشون فيها حيث يتعلّم أولادهم ثقافة الموت. عليها أن تفكّر في إخراجهم من مخيمات تندوف أوّلا ليعيشوا بكرامة خارج مكان احتجازهم. إذا كانت تريد الذهاب إلى أبعد في حرصها على الصحراويين، لماذا لا تقنع ألمانيا الجزائر، التي تعالج رئيسها عبدالمجيد تبون من أمراضه، بإقامة دولة صحراوية في جنوبها. عندئذ تستطيع ألمانيا الاحتفال بوجود دولة صحراوية وترفع علمها بدل رفع علم الدولة الوهمية التي لا وجود لها سوى في مخيّلة مريضة هي مخيّلة النظام الجزائري.

مرّة أخرى يصحّ السؤال هل تحنّ ألمانيا إلى ماضيها النازي الذي تحاول التخلّص منه؟ من أجل التخلّص من هذا الماضي وعقده، يفترض في السلطات الألمانية امتلاك ما يكفي من الجرأة والشجاعة للاعتراف بأنّ مخيّمات "بوليساريو" في تندوف ليست سوى معسكر نازي في الهواء الطلق. تتحكّم بهذا المعسكر، الذي هو تجارة رابحة يمارسها نافذون في الجزائر، ذهنية الاستثمار في مشروع يستهدف شنّ حرب استنزاف على المغرب واقتصاده، وهي حرب مستمرّة منذ العام 1975.

أبقت المملكة المغربية من دون شكّ بابا كي تعيد برلين النظر في مواقفها غير المبرّرة التي تسيء إلى ألمانيا ومكانتها أكثر مما تسيء إلى المغرب. اكتفى المغرب بقطع العلاقات مع السفارة الألمانية في الرباط والمنظمات الألمانية الموجودة في المغرب، وذلك "بسبب خلافات عميقة تهم قضايا مصيرية مغربيّة". يدلّ ردّ الفعل الذي اعتمدته الرباط والذي أعلن عنه وزير الخارجية ناصر بوريطة على تطلّع مغربي إلى إجراء مراجعة ألمانية للذات تأخذ في الاعتبار التصرّفات المضحكة المبكية لسياسة قصيرة النظر لا هدف لها، عن قصد أو غير قصد، سوى المس بالاستقرار في شمال أفريقيا.

بالفعل، لا تفسير منطقيّا للمواقف العدائية الألمانية من المغرب. اللهمّ إلّا إذا كان المطلوب التنفيس عن عقد معيّنة يفترض في دولة كبيرة ومتطورة على كلّ صعيد تجاوزها. ذلك لا يكون بالبحث عن ثغرات في الداخل المغربي والحديث عنها بشكل مضخّم في مواقع إلكترونية. معروف جيّدا أنّ ألمانيا تشجّع هذه المواقع.. وربّما تدعمها وتمدّها بمعلومات تجمعها منظمات، يقال إنّها "غير حكوميّة" تجول في المغرب بحثا عن كلّ ما يمكن أن يلطّخ سمعة المغرب وتجاهل ما تحقّق فيه من تطور على كلّ صعيد، خصوصا في مجال حقوق الإنسان ووضع المرأة والحرب على الفقر، خصوصا في السنوات الواحد والعشرين الماضية.

من أجل التخلّص من هذا الماضي وعقده يفترض في السلطات الألمانية امتلاك ما يكفي من الجرأة والشجاعة للاعتراف بأنّ مخيّمات «بوليساريو» في تندوف ليست سوى معسكر نازي في الهواء الطلق

من يسيء إلى المغرب لا يسيء إلى واحة الاستقرار الوحيدة في شمال أفريقيا فحسب، بل يسيء إلى نفسه أيضا. للمغرب دور أساسي في محاولة الوصول إلى تسوية في ليبيا وفي الحرب على الإرهاب في منطقة الساحل. لماذا لا تراجع ألمانيا الدور السلبي الذي تلعبه "بوليساريو"، وبالتالي الجزائر، في مجال تسهيل كلّ ما يمكن تغذية الإرهاب والتطرّف والتهريب في منطقة الساحل؟

لا تستطيع ألمانيا إلغاء الدور المغربي لا على الصعيد الليبي ولا على صعيد الحرب على الإرهاب. لا تستطيع ألمانيا أيضا تجاهل أنّ أيّ سياسة تمارسها تستهدف الوحدة الترابية للمغرب والطرح المغربي بالنسبة إلى الحكم الذاتي الموسّع للأقاليم الصحراوية هو الطريق الأقصر لضرب الاستقرار في المنطقة كلّها. من يتمعّن في ما تقوم به ألمانيا يكتشف أنّها لا تريد إنهاء مأساة اسمها مخيّمات الصحراويين في تندوف. لا تدري ألمانيا أن هؤلاء يحقّ لهم العيش بكرامة في الأقاليم الصحراوية المغربية. لماذا تريد حرمان صحراويي تندوف من هذا الحق؟ لماذا تصرّ على بقائهم في المعسكر النازي الذي يقيمون فيه؟ ربّما تنسى ألمانيا أن والد محمّد عبدالعزيز الذي كان يسمّي نفسه رئيس "الجمهورية الصحراويّة" كان ضابط صفّ في الجيش الملكي المغربي وكان يقيم في محافظة قصبة تادلة، جهة بني ملال، عند سفح الأطلس الكبير.

تسيء ألمانيا إلى نفسها ولا تسيء إلى المغرب. أرادت استعادة وحدتها ونجحت في ذلك. لماذا هذه الحملة على المغرب الذي اعتمد الطرق السلمية، أي "المسيرة الخضراء"، وتعرّض لكل أنواع الاعتداءات بسبب إصراره على استرجاع أراضيه من الاستعمار الإسباني من دون أن يطلق رصاصة واحدة؟